المحاضرة الثانية

اللغة الآرامية في العهد الاخميني

وفي سنة 539 قبل الميلاد سقطت بابل على أيدي الفرس الأخمينيّن، فأفل نجم اللغة الأكدية ، وأضحت اللغة الآرامية هي اللغة الرسمية للملكة الاخمينية الجديدة ، بعد أن أعلن داريوس رسميا ان اللغة الآرامية لغة عامة للملكة المترامية الأطراف، والتي امتدت في عهده (٥٢١- ٤٨٥ق.م) من نهر النيل إلى نهر الأندوس، مقسمة إلى مقاطعات ترتبط جميعها بالسلطة المركزية في شوشانا، ومن الضروري، لإدارة تحكم بلداناً مختلفة الأجناس والألسن أن تكون لها لغة رسمية هي اللغة الدولية.

وقد حلت الآرامية محل لغات أخرى غير الأكدية كالعبرية والفينيقية ، وتوغلت جاليات آرامية اللسان في العصر الأخميني وراء حدود أرض الرافدين فوجدت نقوش آرامية في أماكن مختلفة من أسيا الصغرى، مثل كيليكيا وليديا وفارس .

وفي مصر عثر على وثائق كتبت بالآرامية ، تعود إلى القرن الخامس ق.م. ، تشير إلى وجود مستوطنة يهودية على هيأة حامية عسكرية أُنشئتْ على الحدود الجنوبية المصرية في جزيرة في النيل، تعرف بجزيرة الفيلة.

وقد كشفت لنا رسالة كتبت بالآرامية بعثها رجل مصري يدعى (فحيم) إلى موظف فارسي يدعى (ميترا واهيت) أن المصريين طيلة الحكم الأخميني كانوا يراسلون السلطات الفارسية باللغة الآرامية ، وهذا يعني أن اللغة الآرامية كانت هي اللغة الدولية آنذاك ، فكلا المتراسلين كانت له لغة خاصة (مصرية وفارسية)، ونراهما تراسلا بلغة أخرى معروفة لكليهما، هي الآرامية ، كما في وقتنا الحاضر، فالعربي يراسل الإيطالي أو الألماني باللغة الإنجليزية ، لأنها اللغة الدولية حاليا.

وفي عهد كورش الأخميني سُمح لليهود المرحلين بالعودة إلى وطنهم أورشليم واعادة بناء هيكلهم الذي دمره نبوخذنصر، وحملوا معهم جميع الآنية المقدسة لهيكل سليمان التي غنمها الجيش البابلي ، فعاد كثير من اليهود يتزعمهم عزرا الكاهن ، الذي كتب أخبار العودة و إعادة بناء الهيكل باللغة الآرامية في "سفر عزرا".

وفي أيام داريوس عُين دانيال (وهو من انبياء بني اسرائيل الذي جيء به مع اليهود المرحلين الى ارض بابل) أول الوزراء الثلاثة في مملكة الأخمينيين وكان مشرفا على مائة وعشرين مرزبانًا، أي والياً ، عُهد اليهم تدبير شؤون المملكة ، وقد كتبت أخبار دانيال النبي ورفاقه وما حدث لهم منذ أن جيء بهم إلى بابل في سفر دانيال .وقد كتب هذا السفر بلغتين: جزء منها بالآرامية وتبدأ من الإصحاح الثاني الآية الرابعة إلى الإصحاح السابع الآية الثامنة والعشرين ، أما بقية السفر فقد كتب بالعبرية. ومن المحتمل أن يكون السفر قد كتب كله بالآرامية، ثم نقلت بدايته ونهايته إلى العبرية لتسهيل دمجه في مجموعة أسفار العهد القديم.

اللغة الآرامية في العهد اليوناني

وفي سنة ٣٣١ ق. م. هُزِم الفرس الأخمينيّون على يد الأسكندر المقدوني ، في معركة (اربلا) في الموقع المسمى (كوكميلا) بالقرب من مدينة اربيل حالياً، وفتحت بابل في السنة نفسه، وفرض الاسكندر سيطرته على اجزاء واسعة من الشرق الأدنى، فأضحت بعد ذلك اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية.

وبعد وفاة الأسكندر المقدوني ، قُسّمت إمبراطوريته بين قادته إلى ثلاث ممالك سلوقى ، بطليموس، انتيكوس، فكان العراق جزءا من المملكة السلوقية الممتدة من الهند إلى حدود مصر.

وأمام هذا المد اليوناني والثقافة الهلينية انحسرت اللغة الآرامية، وانحطت عن مرتبتها الرفيعة ، وفقدت الوحدة التي كانت تتمتع بها تحت ظل الإدارة الفارسية ، الا انها بقيت لغة الشعب الدارجة .

فالكتابات النبطية تقدم لنا آرامية اقرب إلى "آرامية المملكة" وترتقي هذه الكتابات الى عهد يتراوح بين القرن الأول ق.م. والقرن الثالث الميلادي، وتتوزع على مجموع البلاد النبطية، من شمال الحجاز (حجرة) الى

الحدود السورية الجنوبية (بصرى) في طريق البتراء العاصمة . وفضلا عن ذلك كمية وافرة من الرسوم التي وجدت في شبه جزيرة سيناء ، وعددها يربو على ٣٠٠٠. فالنبطيون ربما كانوا عربا يتعاملون بالعربية ، وهناك آثار بينة من التأثير العربي بادية على الآرامية في كتاباتهم، لاسيما في الألفاظ ، أما تدمر فقد أظهرت كتاباتها الصلة المتينة بآرامية المملكة مع تجديد كبير في الإملاء والقواعد نشأ عن نمو اللغة نموا مستقلا .

وفي فلسطين – السامرة والجليل– حلّت الآرامية محل العبرية لغة محكية وأهمل اليهود اللغة العبرية لغة التخاطب فيما بينهم واحتفظوا بها لغة مقدسة (لغة دين وعلم). ولهذا فقد احتوى الكتاب المقدس نفسه على بعض نتف آرامية تعود الى ذلك العصر، فهناك زيادة آرامية على نص ارميا (١١/١٠) وحاشية آرامية من كلمتين عبريتين في سفر التكوين (٤٧/٣١) ومقاطع مهمة في سفر عزرا (٤/٨–٦/١٨ و٧/١٢–٢٦) ، وما يقرب من نصف سفر دانيال (٢/٤–٧/٢٨) . ويظن الباحثون المعاصرون ان سفر دانيال ربما يرتقي في مجموعه الى سنة ١٦٧ او ١٦٦ ق.م.، ويحتمل ان السفر كله كتب باللغة الآرامية ثم نقلت بدايته ونهايته الى العبرية لتسهيل مهمة دمجه في مجموعة الكتب المقدسة كما اسلفنا سابقا، فآرامية الكتاب المقدس (آرامية العهد القديم) كانت الآرامية الوحيدة التي عرفت عن عهد ماقبل الميلاد ، وكان يطلق عليها اسم " الكلدية " وان كان لها صلة استمرار متينة مع آرامية المملكة لكنها لم تكن آنذاك الا لهجة موضعية أي آرامية فلسطينية.

واستمر الناس يتخاطبون بالآرامية ، وكانت هي اللغة الوحيدة التي يتقنها الناس في عهد السيد المسيح . وبها كانت تشرح الأسفار المقدسة في المجامع والكنس اليهودية ، وهكذا نشأ (الترجوم) وهي ترجمات آرامية مفصلّة للكتاب المقدس، ولدينا شواهد أخرى عن الآرامية الفلسطينية ، منها تلمود أورشليم وبعض الكتابات القبرية.

اما في بلاد الرافدين، ومنذ انتشار المسيحية فيها، فقد أخذت الآرامية القديمة تترسخ في النصوص الأدبية وفي الكتابات بلهجاتها الرئيسية الثلاث وهي: اليهودية– البابلية والمندائية والسريانية. فالآرامية اليهودية – البابلية هي لغة تلمود بابل الذي كتب في القرن الخامس والسادس الميلادي، وصدر عن الجماعات اليهودية المستقرة في بابل القديمة . أما المندائية فهي لغة الصابئة المندائيين التي ازدهرت أيضا في بلاد بابل في مطلع المسيحية وخلفت لنا كتبا عديدة ، وكانت السريانية لغة الرها الخاصة ، والرها مدينة

واقعة في حوض الفرات الكبير، غير بعيدة عن حران القديمة، وكان لأهمية كنيسة الرها المتزايدة اليد الطولى في إقرار هذه اللغة واتخاذها لغة فصيحة وكلاسيكية للجماعات المسيحية المنتشرة في بلاد الرافدين وفي سوريا ، ولنا من هذه اللغة أدبا غزيرا ، لاسيما اللاهوتي منه، ويتضمن ترجمات عدة مؤلفات يونانية في الفلسفة والعلوم.

أما الشواهد الأثرية التي عثر عليها والتي ترجع إلى الفترة الهلينية في بلاد الرافدين ،فهي وثائق رسمية مكتوبة بالآرامية تشير إلى أن مدينة (أوروك) كانت تسمى عند الإغريق (أورخوي) وتستوطنها جالية يونانية, كماعثر كذلك على كتابة آرامية ترجع إلى العهد نفسه مكتوبة على آجر مزجج في حجرة العبادة المقدسة الخاصة بمعبد ايركال في مدينة أوروك ، وعثر أيضا على قطع طينية كتب عليها بالآرامية والإغريقية كانت تربط بالوثائق لتعيين مضامينها.

وفي العهد السلوقي نشأت في القسم الجنوبي من العراق ، عند ساحل الخليج ، دويلة تعرف بـ (كراكينة) او (كرخينة) وهي التي ورد اسمها في المصادر الآرامية السريانية والعبرية بـ (ميسان) ، وقد نالت هذه الدويلة استقلالها وانفصلت عن تبعيتها للدولة السلوقية في عهد انطيوخس الثالث (٢٢٣-١٧٨ق.م) على اثر اندحاره على أيدي الرومان ، وتدرجت في النمو والازدهار حتى غدت في العهد الفرثي من الدويلات المهمة ، وكان جل سكان هذه الدويلة من الآراميين .